1

الفصل الأول

البناء الاجتماعي والنظم الاجتماعية العربية

- المجتمع: المفهوم – المقومات – النشأة والتطور .
- البناء الاجتماعي: المفهوم – الخصائص .
- النسق الاجتماعي .
- تنظيم المجتمع: المفهوم – الأهداف – الفلسفة – المبادئ – المراحل .
- النظم الاجتماعية: الخصائص – الأشكال – النظم الأساسية في المجتمع .
- المنظور الإسلامي للمجتمع .
- أسس المجتمع عند رواد الاتجاه القومي العربي .

- **المجتمع: المفهوم – المقومات – النشأة والتطور :**

المجتمع مجموعة متجانسة مترابطة من الناس، تجمعهم وحدة مكانية ووحدة زمانية، حيث يقصد بالوحدة المكانية أن يكون لهذه المجموعة أرض يحيون ويعيشون عليها، بينما يقصد بالوحدة الزمانية أن تكون معيشة هذه المجموعة من الناس لفترة طويلة من الزمن مع بعضهم البعض، مما يوجد بينهم نظماً معينة ومصالح وأهدافاً مشتركة، وهكذا يرتبط حاضرهم بماضيهم بما يوحد نظرتهم إلى المستقبل.

■ **مفهوم المجتمع:**

تعددت التعريفات التي تناولت مصطلح المجتمع بحيث أصبح لا يوجد تعريف موحد لمفهوم المجتمع، ومن هذه التعريفات ما يلي:

"تجمع من الأفراد توحد بينهم روابط تضامن وتعارف، ويتصف هذا المجتمع بطبيعته البيولوجية والسيكولوجية والثقافية ".

كما يعرف بأنه "مجموع من الأشخاص والجماعات التي تتبادل فيما بينها علاقات اتصال وتفاعل واعتماد بيني، ولهم أنشطة عامة متوافقة تنبع من هذه العلاقات التفاعلية، ولهذا المجموع من الأشخاص والجماعات بنية شاملة تسمح لهم بالعيش والبقاء، وبالتالي التغير والتقدم ".

ولهذا، فباستقراء مفهوم المجتمع فإننا نري المجتمع في صورة هيئة إنسانية متفاعلة، وهذا ما يجعل المجتمع وقفاً على النوع الإنساني، ومن ثم يختلف عن أشكال التجمعات الأخرى للكائنات الحية.

■ **مقومات المجتمع:**

يتضح مما سبق أن مقومات المجتمع هي:

1 – **جماعة من الناس:** فليست جماعات الحيوانات أو الحشرات مجتمعاً، ولكنها تجمعات، إذ أن عالم الحيوان ليست لديه القدرة على الابتكار والعمل والإنتاج، كما هو الحال في عالم الإنسان.

2 – **وحدة مكانية:** ويقصد بها الأرض التي يعيش عليها جماعة من الناس، لأن جماعة

من الناس بدون أرض يعيشون عليها قوم متنقلون لهدف معين وسرعان ما يتفرقون.

3 - **وحدة زمانية**: وهي تساعد على تكوين روابط بين الناس، مما يجعل لهذه الجماعة ماضيا وحاضراً ومستقبلاً.

عناصر الوحدة الزمانية:

(أ) **الماضي**: ويقصد بماضي المجتمع ما يأتي:

- **التاريخ المشترك**: فكل جماعة من الناس تمر بتاريخ مشترك يسجل أفراحها وآلامها وكفاحها وانتصاراتها وهزائمها وبطولاتها، ويتولد من هذا التاريخ روابط مادية وروحية تربط ما بين أفراد المجتمع، وتوحد ما بين قلوبهم بحيث يتوارثها أجيال المجتمع جيلاً بعد جيل، وتصبح جزءاً مهماً من تراثهم الاجتماعي.
- **التراث الاجتماعي**: ويقصد به كل ما يتركه السلف للخلف، أي ما يرثه الأبناء عن الآباء والأجداد سواء في الجانب الثقافي أو الجانب الحضاري.

وتعتبر الثقافة عنصراً مهماً من عناصر التراث الاجتماعي، وتشمل الثقافة فيما تشمله ما يتلقاه الفرد عن الجماعة التي يعيش فيها من مظاهر الفنون والعلوم والمعارف والآداب والفلسفات والعقائد وما إليها، ويرجع إلى هذا التراث الفضل فيما يصل إليه الأفراد في المجتمع من مستوى اجتماعي وحضاري معين.

ويشمل التراث الثقافي أموراً معنوية وأخرى مادية، ولا تقل إحداهما أهمية عن الأخرى، ويُقصِرُ البعض كلمة "ثقافة "على الأمور المعنوية، وكلمة "حضارة "على المسائل المتعلقة بالناحية المادية في المجتمع، وهي التي تتمثل في المخترعات والابتكارات والتنظيمات التي يلجأ إليها الإنسان لدعم كيانه الاجتماعي وتحقيق أهدافه في سهولة ويسر.

هذا، وتعتبر اللغة من أهم عناصر البيئة الاجتماعية؛ فهي حجر الزاوية من كل تراث اجتماعي وثقافي، لأنها وسيلة التفاهم وتبادل الآراء بين الناس، ولا شك أن هناك تفاعلاً شديداً وقوياً بين اللغة وبين مختلف وجوه التراث الاجتماعي، كما أنها المرآة الصادقة التي تعكس لنا تاريخ المجتمع ومراحل تطوره.

وبجانب اللغة هناك العادات، وهي عبارة عن مجموعة من الأفعال والأعمال وألوان السلوك التي تنشأ في قلب الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها

وأوضاعها، وبجانب العادات توجد الأعراف والتقاليد. والأعراف عبارة عن طائفة من الأفكار والآراء والمعتقدات التي تنشأ في جو الجماعة وتنعكس فيما يزاوله الأفراد من أعمال، وما يلجأون إليه في كثير من مظاهر سلوكهم، والعادة إذا ما انتشرت بين أفراد المجتمع أصبحت عرفاً. والأعراف تقوم مقام النظم المكتوبة في بعض المجتمعات، كاحترام السن فهو عرف سائد في مجتمعنا العربي، أما التقاليد فهي عبارة عن طائفة من قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة، أو طائفة ـ أو بيئة محلية محدودة النطاق، وهي تنشأ من الرضاء والاتفاق الجمعي على إجراءات وأوضاع معينة خاصة بالمجتمع المحدود الذي تنشأ فيه، ولذلك فهي تستمد قوتها من قوة المجتمع الذي اصطلح عليها، وتفرض سلطتها على الأفراد باسمه، والتقاليد شأنها شأن العادات والعرف، فهي عبارة عن مصطلحات اجتماعية مزودة بصفة الجبر والإلزام، وهي فوق ذلك صفة مميزة للطبقة التي تأخذ بها، واحترامها علامة مؤكدة على مبلغ تضامن هذه الطبقة وحرصها على تحقيق قوتها الذاتية.

ويسود أفراد المجتمع بعض القيم الاجتماعية، وهي عبارة عن نظرة وتقدير أفراد المجتمع لبعض الأمور، كنظرتهم إلى الخير أو إلى الحق أو الجمال، وغير ذلك من قيم كالتعاون والعلم والمال والمركز الاجتماعي.

(ب) الحاضر: ويتمثل فيما يأتي:

- **المصالح المشتركة:** فكل إنسان في حاجة إلى غيره من الناس، ومعيشة الناس مع بعضهم تقوم على أسس من التبادل في المنافع والخدمات، ولا تقتصر المصالح المشتركة على أفراد المجتمع الواحد، بل تتعداها إلى مختلف المجتمعات والشعوب في علاقاتها مع بعضها.
- **النظم الواحدة:** فلكل مجتمع نظمه السياسية والاقتصادية والتربوية والأسرية، وهي ما يعبر عنها بالظواهر الاجتماعية، وكل ظاهرة من ظواهر المجتمع السوية لا بد وأن ينظمها قواعد وقوانين، بعضها متعارف عليه يحفظه أفراد المجتمع في صدورهم والبعض الآخر تنظمه قوانين مكتوبة ومدوية.

(ج) المستقبل:

ويتمثل في وحدة الأهداف والآمال ووحدة المصير؛ فالناس في المجتمع يعملون من أجل أهداف معينة، كما أنهم يرتبطون بمصير واحد، وتتأثر بهذه الأهداف وهذا المصير في الغالب الأفعال والإجراءات التي يزاولها أفراد المجتمع، كما تتأثر بها أفكارهم، فالجماعة

بأهدافها إنما تطبع أفرادها بميزات خاصة، وتضيف إلى رأس مالها الذي ورثته مكاسب جديدة ومغانم مستمرة بقدر ما توحي به ظروفها، وما تتطلبه من مواقف وقيم جديدة.

4 - **البيئة الطبيعية**: يقصد بالبيئة الطبيعية كل ما يتعلق بالمنطقة التي يشغلها المجتمع من حيث التكوين والموقع والتضاريس، وما يحيط بها من ظروف طبيعية ومناخية مختلفة، والبيئة الطبيعية بعناصرها المختلفة لها تأثيرها على نواحي الحياة الاجتماعية في كثير من مظاهرها، ولعل الناحية الاقتصادية هي أكثر نواحي الحياة الاجتماعية خضوعاً لمقتضيات البيئة (1).

وفي ضوء ما سبق يمكن استخلاص معايير وصفات أساسية تحدد مفهوم المجتمع منها:

- **العمومية**: فالمجتمع يدمج الفرد في جماعة، تنوب عنه كوحدة لها دلالتها الخاصة في التنظيم الاجتماعي، إنه تجمعُ أفراد - ذكور وإناث - من مختلف الأعمال.
- **الاستمرارية**: والتي تتجاوز وجود الفرد كحياة ذاتية زائلة؛ فالمجتمع قبل الفرد وبعده. إن الأفراد يولدون عادة في مجتمع قائم، يتكيفون معه، وليس عليهم أن يُنشِئُوا مجتمعاً من عدم.
- **المشاركة**: والتي تميل إلى أن تكون نشطة ومقصودة، واعية ومحسوسة من قبل الأفراد، إنها المشاركة التي تحتفظ للفرد بجزء من المنافع العامة في الحياة، والتي تدفعه في الوقت نفسه للوفاء بجهد فعال لتحقيق صالح الجماعة.
- **الاستقلالية الوظيفية**: والتي تجعل من كل مجتمع وحدة إجرائية، وفيها يندمج الأفراد، وفيها يخضعون جميعاً لقوانين وظيفتها.
- **التمايز الداخلي للإجراءات، والأعمال، والأدواء**: والتي زادت نسبها في عصرنا الصناعي، والتي تستهدف أن تشبع - بشكل أفضل - حاجات متنوعة: فيزيقية، سيكولوجية، تقنية، ثقافية، وغيرها (2).

والواقع أنه ليست هناك تقسيمات تصنف المجتمع تصنيفاً دقيقاً محدداً، ويرجع ذلك لعوامل مختلفة؛ إذ يعتقد البعض أن أساس هذا التقسيم جغرافيا كمساحة الأرض وطبيعتها، بينما يرى البعض الآخر أن الأساس في ذلك هو الخصائص الديموجرافية للسكان، ومنهم من ينظر إلى النواحي الاقتصادية وطبيعة الإنتاج، من حيث هو يميل للصناعة أو الزراعة، فإذا نظرنا إلى مجتمعنا العربي نجد أنه يتكون في واقعه من نمطين أساسيين هما: الريف والحضر، وبينهما مفارقات ومتناقضات اجتماعية مهمة.

فمجتمع القرية وهي نموذج الريف يتميز بالعزلة وسيطرة العادات والتقاليد؛ فهو مجتمع متماسك يعتز بالحسب والنسب، كما أنه مجتمع تتغلغل في نفوس أفراده العاطفة الدينية، كما أنه مجتمع ترتفع فيه نسبة الأمية لحد كبير، ومن سمات الأسرة فيه كثرة عدد أفرادها، وقد يرجع ذلك لعوامل كثيرة من أهمها الزواج المبكر، واعتبار أن الأولاد وحدات اقتصادية تزيد من دخل الأسرة.

هذا، وإذا كانت هذه أهم سمات الريف وخصائصه، فإن الحضر يختلف إلى حد كبير عن هذه الخصائص؛ فالمواطن في الحضر – أكثر تحرراً، لأن المجتمع الحضري مجتمعٌ متميزٌ بنشاط اجتماعي، ومن جانب أفراده مما يعد مظهراً ديناميكيا للتدرج الطبقي والحراك الاجتماعي، ويتميز أفراده بدرجة كبيرة من ضبط النفس وعدم التأثر بالعاطفة وإحكام العقل، ومن ثم فإن أثر الدين في حياتهم أقل منه بين سكان الريف، والخدمات في المجتمع الحضري ميسرة لحد كبير، حيث تتوافر فيه جميع الخدمات والمرافق، ولعل توافر هذه الخدمات في الحضر مع قلتها في الريف كان أحد العوامل للهجرة المستمرة الداخلية من الريف إلى الحضر.

▪ نشأة المجتمع وتطوره:

تنشأ المجتمعات وتتخذ طريقها في الحياة وتتقدم دون أن تدرك أنها تتغير وتتطور، وإنما تترك ذلك لعلماء الاجتماع الذين ذهبوا إلى مذهبين عندما بحثوا تطورها.

1 - المذهب التطوري:

ويعني ذلك أن لكل مجتمع نشأة خاصة وتطوراً قائماً بذاته فإذا أراد الإنسان أن يفهم حياة أي مجتمع محلي وجب عليه أن يذكر دائما أن التغير والتطور مؤكدان لا مفر منهما، وإذا كان يقوم بدراسة نظام تطور المجتمع في صورة قوانين وعادات ولغة وعلم وما شأنه ذلك فهو إنما يدرس حقائق وشروط التطور الثقافي، والتشابه بين المجتمعات في المستوى الحضاري أي التشابه بينهم في العادات والتقاليد والعرف والعقائد والقيم الاجتماعية والروحية يقوم على أساس أن الطبيعة البشرية إذا خضعت لمؤثرات واحدة أنتجت صوراً متشابهة، لأن الظواهر كلها تدل على أنه إذا تساوت يمكن الإفادة منها إلى حد كبير في تنظيم الحياة الاقتصادية وتوجيه النظم الاجتماعية.

2 - المذهب التقليدي:

يقوم هذا المذهب على أساس أن الحضارة الإنسانية نشأت في مركز واحد وانتشرت